العدد 27

شذرات ثقافية

رئيس التحرير وائل مجدى



من شعب الايمان
أ. د. محمد صالحين

ابن سينا
أ. د. محمد عبد الله الشرقاوي

مفهوم العدالة و انعكاساتها على واقعنا
ا. د. عادال القليعي

الاسلام وعقد الصحبة المصيري
أ.د. ناصر أحمد سنه

السلم الاجتماعي بين الرؤية الاسلامية والنظريات المادية
أ.م. أماد كاظم البراوي

اركان الايمان
الشيخ أحمد تركى

المحاولات المتكررة لهدم الهرم الاكبر
أ:أحمد الجمال

الفهرس



❖ مفهوم العدالة وانعكاساته علي واقعنا المعاصر.

- **تأملات حول فضيلة العدالة.**
- **بقلم اد.عادل القليعي أستاذ الفلسفة الإسلامية بآداب حلوان.**

العدل اسم من أسماء الله الحسنى، الحكم العدل، فهو حكم ومن ثم بالضرورة ومبدأ الحتمية المنطقية لابد أن يكون عدلا، أي يحقق العدالة للجميع وألا يفرق في المعاملات بين الناس .

والعدالة فضيلة وضدها الظلم وهو رذيلة بغيضة، بالعدالة قامت السموات والأرض وما بينهما. والعدل الوزن بالقسط بين الناس، والعدالة رأس الفضائل الأخلاقية وقمتها فإذا ما تحقق العدل تحققت خيرية الأفعال، بمعني العادل شجاع لا يخشي في الحق لومة لائم، والعادل عفيف النفس لا يحيد ولا يميد عن طريق الحق ولا تتجاذبه أهواء وميول الشهوة فلا يمد يده حتي يغير رأيه أو يزور ، فهو العفيف صاحب الخلق الرفيع.

وصاحب العدالة وحارسها واثق بنفسه قد تحاك ضده المؤامرات وقد تتقول عليه الأقاويل وقد تلاحقه نظرات الازدراء وتثار حوله الشبهات والفريات، لكنه ثابت علي مبدأه لا يحيد عن قول الحق قيد شعيرة.

يقول الحق جل جلاله (وأمرت لاعدل بينكم) ويقول(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل).

ولنا في المعصوم صلي الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة في عدالته في توزيع غنائم الحرب ويأتيه رجل يدعي ذي الخويصرة. يقول له أعدل يا محمد، فيتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له إذا لم أعدل أنا فمن الذي يعدل.

وعندما تسرق المرأة ويريد أن يقيم عليها الحد والمرأة من الأشراف ويأتي إليه صحابي ليشفع لها ويقول النبي قولته الخالدة التي سطرها التاريخ بأحرف من نور، تشفع في حد من حدود الله، والله لو أن فاطمة - أعز الناس إلي قلب أبيها - بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها.

كان في من قبلكم إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإذا سرق الشريف تركوه لحسبه ونسبه - فلو كان ذو حسب ونسب ما سرق - وها هو الفاروق عمر ضرب أروع الأمثلة في عدله، ألم يحمل جوال القمح علي ظهره ويذهب إلي المرأة ويشعل النار ويطهي الطعام بنفسه ويطعم صغارها والسيدة لا تعرفه وتقول الله الله في عمر تركنا جوعي ونحن أمانة في رقبته ولم يتركها حتي أطعم الأطفال وتركهم يضحكون بعد أن علا بكاءهم من شدة الجوع، ويقول لها احضري غدا إلي القضاء لتأخذي مظلمتك وتذهب وتجده فيقول لها يا أمة الله بكم تبيعي مظلمتك لعمر ويشتريها منها بمائة درهم ويقول لابنه ضعوها في كفني عند موتي، حقا حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر، وكذلك عمر بن عبدالعزيز الذي من عدله حمت الذئاب الأغنام ولم يوجد فقير ويخاطب الغمام قائلا امطري أنا شئتي سياتينا خراجك لماذا لأنه عدل بين الناس بالقسط ولم يفرقوا في المعاملات فليس معني أنه ابن فلان يأخذ المناصب العليا والوظائف الكبيرة، والأخر ابن رجل فقير يلقي في غيابات الجب بدعوي التفاوت الطبقي والغريب أن هؤلاء يستشهدون بالقرآن والقرآن منهم براء (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات)، نقول لمثل هؤلاء الحمقي، الرفعة هنا في منزلة الأعمال الصالحة وليس في ابن الوزير والسفير، وابن البواب والرجل الفقير، هل الأوطان تبني بهذه الطبقية العفنة. العدالة في كل شيئ في توزيع الرواتب علي العمال فليس من العقل والمعقول أن تأخذ فئة معينة رواتب كبيرة وتأخذ أخري رواتب في الحضيض أليس هذا مدعاة إلي الحقد والحسد والضغينة.

لا أريد شخصنة المسألة، نتحدث علي العموم ولن أخص طائفة بعينها كاساتذة الجامعات والذي أشرف أنني واحد منهم - وإن كان حالنا لا يخفي علي أحد -كذلك لابد إذا أردنا أن نحيا حياة كريمة فلابد أن نحقق العدالة في كل شئون حياتنا في بيوتنا مع أبناءنا فلا نفرق بين الولد والبنت في المعاملة، وكذلك في أعمالنا لا نفرق بين زيد، وعبيد، التفرقة بعمل كل واحد فليس معني أن أحدا مقرب للرؤوساء في العمل وهو أدائه ضعيف يحصل علي امتيازات ليست من حقه فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والجميع سيقف أمام الله هل عدلتم بين مرؤوسيكم (وقفوهم إنهم مسئولون) ، وهذه المسئوليات تكليف وليست تشريف.

ثم نطبق العدالة في معاملاتنا مع بعضنا البعض، وكذلك مع أنفسنا دون إفراط أو تفريط فكلوا واشربوا وألبسوا ولا تغالوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين.

ثم أعدل بينك وبين الله تعالى ولو بالقدر اليسير من حق الله عليك، أحسن إلي الله كما أحسن الله إليك والله يحب المحسنين.

أيها السادة الأكارم الأفاضل أقول لكم ولست بأعلمكم، ولكن من باب حقوقكم علي وحقوقكم علي هي التذكرة، (وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين).

إن فلاسفة الأخلاق جعلوا لفضيلة العدالة مكانتها ورفعوها مكانا عليا، فها هو سقراط يقر نوعين من القوانين أولهما غير المكتوبة القوانين الإلهية التي لا يظلم معها أحد. والقوانين المكتوبة الوضعية التي تنتظم من خلالها حياة الناس إذا طبقت تطبيقا صحيحا. وكذلك حدثنا أفلاطون عن العدالة وكيفية تحقيقها قائلا. إذا أردنا تحقيق العدالة فلا بد من سيطرة القوة العاقلة في الإنسان - ببساطة شديدة دون تعقيدات فلسفية - تحكيم العقل - سيطرة القوي العاقلة علي القوتين الشهوية والغضبية - نبسط المسألة - الإنسان به ثلاثة قوي 1-الشهوية وفضيلتها العفة، والإنسان بتكوينه الفسيوبيولوجي يميل إلي إشباع شهواته المادية ولا أحد ينكر ذلك لأننا من جبلة انسية ولسنا ملائكة وإن كانت بنا هبات ملائكية، ويأتي دور العقل ليقوم بعملية فرملة لهذه الشهوات الجامحة فيلجمها بلجام الحكمة ويصير الإنسان عفيفا،. 2-القوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة ويأتي دور العقل ليهذب هذا الغضب فقد يقودك الغضب لاقحام نفسك في مشاريع لا طاقة لك بها فياتي العقل ليمنعك من التهور فالشجاع ليس بالصرعة وإنما من يملك نفسه عند الغضب. 3-القوة العاقلة وهي التي تسيطر على القوتين السابقتين عن طريق الحكمة.

فبالعقل تتحقق الفضائل وتتحقق العدالة وكما يري أفلاطون أن الفلاسفة هم أهل الحكمة وأهل الحل والعقد ومن ثم لابد أن توضع مقاليد الحكم بأيديهم هذا ما ذكره في جمهوريته. وكذلك نجد رائد الاتجاه العقلاني في الفكر اليوناني، أرسطو، يقول إن العدالة إذا ما تحققت في الإنسان تضعه تحت عرش الله وهذا ما ذكره في كتابه الأخلاق النيقوماخية، نيقوماخوس ابنه- وإذا ما تركنا فلاسفة اليونان واتجهنا إلى مفكري الإسلام سنجد الغزالي يحدثنا عن هذه الفضيلة في كتابه ميزان العمل ويجعلها رأس الفضائل. أيتها السيدات والسادة إذا أردنا السعادة وتحقيق السيادة فعلينا بتحقيق العدالة لأن اسلافنا ما قادوا الدنيا بأسرها إلا من خلال إقامة العدل، ونزع الجور والظلم من بين الناس، بل وملأوا الدنيا عدلا فاستقام أمرهم واستوت ممالكهم ودويلاتهم.

ما أحوجنا إلي العدالة وإقامة العدل بيننا، لأن العدل أساس متين وحصن حصين لإقامة الممالك والسلاطين والدويلات والدول، فدول الظلم قد تستمر عاما أو أعواما كثيرة، لكنها لن تدوم أما دول العدل تظل إلي قيام الساعة لماذا لأن قادتها حكموا فعدوا في القضية ووزعوا وقسموا بالسوية لا فرق بين وزير فيها ولا غفير، الكل مواطن من الدرجة الأولى، فمثلما له حقوق فعليه واجبات.

فبالعدالة نحيا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله.

فمن كان به شبهة جاهلية وظلم فليراجع نفسه وليرد المظالم إلي أهلها، ويعجل بالتوبة والاستغفار، والمظالم كثيرة في أيامنا هذه منها علي سبيل المثال لا الحصر، أكل مال اليتيم بغير حق، عدم العدالة في توزيع المواريث وأكل حقوق الإناث، عدم عدالة الإنسان لنفسه وظلمه لها عند طريق عدم تهذيبها وتربيتها، عدم إقامة العدالة

والمساواة في البيت والتفرقة بين الأبناء لأنه ذكر ولأنها أنثي، عدم العدالة والانصاف لأوطاننا، وإهمال قضايانا المعيشة وبيعها بحفنة عملات نقدية، وحسابات وأرصدة ملئت البنوك.

أفيقوا واعدوا، أعدلوا هو أقرب للتقوي.

❖ من شُعَب الإيمان (7)



➢ مقال
➢ الأستاذ الدكتور محمد صالحين

أن يكونُ صبرُك جميلًا

وقد ورد الأمرُ بالصبْر مكرَّرًا في القرآن الكريم، والسنة النبوية؛ لبيان أهميته في الحياة الإنسانية، وبيان رفيع درجات أصحابه، وتبوئهم منزلة رفيعة من الإيمان.

قال تعالى: {واستعينوا بالصبر والصلاة}

وفي الصبر على الشدائد والمصائب يقول ربنا سبحانه: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}، جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا: نعم العدلان، ونعمت العلاوة. يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة والعلاوة {أولئك هم المهتدون}. وقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم} وقال: {وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون}. فأمره أن يصبر على أذى قومه، كما صبر إخوانه من النبيين الذين تقدموه، وكانوا أولي حد في أمر الله ويوهن القلب على احتمال ما يستقبلهم من قومهم. وأن يستعجل بما لهم عنده الله من الجزاء بكفرهم وشقاقهم وأبدانهم أتاهم، وزادهم توصية في الآية الأخرى على الأمرة بالتصبر أن اذكره أنه لا يستطيع الصبر إلا بإعانة الله تعالى إياه عليه، وتوفيقه له، ليرجع إليه عز وجل، فيسلمه إياه أن يصبره وينبئه.

{والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة}. وقال: {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}. وقال: {نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون}

❖ ابن سينا



➢ أ.د محمد عبد الله الشرقاوي
➢ أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان/ كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

هذا الرجل :عبقريٌ فذ!!!...

إنه ابن سينا الطبيب الفيلسوف (الذي لقَّبته الأوساط الفكرية والمجتمع العلمي بلقب تبجيلي تشريفي هو : الشيخ الرئيس؛ لأنه كان بحق شيخًا ورأسًا في العلوم التطبيقية والعقلية التي انشغل بها تدريسًا وتأليفًا وبحثًا وتجريبًا).

وُلد ابن سينا الطبيب الفيلسوف في قرية تابعة لـ (بخارى: عاصمة الدولة السامانية على حينذاك، وهي من أعرق مراكز الثقافة والفكر الإسلامي في بلاد المشرق الإسلامي وإليها ينتسب - الإمام البخاري، رحمه الله ، وتقع بخارى اليوم في دولة أوزبكستان.

وتوفى - ابن سينا - بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتأمل والبحث والتجريب وممارسة السياسة ومعاناة السجن والمطاردة والتخفي والهروب - توفى سنة 428هـ 1037م ودفن في همدان، وهي مدينة عريقة تابعة لإيران اليوم.

وُهب الرجل ذكاءً مفرطًا وعقلًا مستقلًا متأملًا ناقدًا، يحكي هو عن نشأته في بيت كان له علاقة وثيقة بالدعوة الشيعية الإسماعيلية الغالية التي اصطبغت بالتعاليم الغنوصية والباطنية الفلسفية، وكان أصحاب هذه الدعوة يجتمعون فيتذاكرون أمر النفس والعقل ، وكان هو يفهم أقوالهم لكن (قلبه كان بعيدًا عنهم).

تمتع ابن سينا بقدر وافر من (تكاملية المعرفة) ، فقد اعتنى بالعلوم التطبيقية عنايته بالعلوم العقلية والحكمية، ولم يصبه داء (الفصام المعرفي النكد) الذي أصاب كثيرين فاقتصروا بالمطلق على جانب العلوم التطبيقية والأساسية، وتجافوا بالكلية عن الاتصال بالحقول المعرفية في مجال الإنسانيات والاجتماعيات فضلًا عن الدينيات واللغويات، والعكس صحيح.

يحدثنا ابن سينا عن شغفه وتولُّهه بدراسة الفلسفة، في نص نفيس نقله عنه المؤرخ الكبير الذهبي ..جاء فيه:

«قرأتُ جميع أجزاء الفلسفة وكنتُ كلما تحيّرت في مسألة، أو لم أظفر بالحد الأوسط في قياس، ترددتُ إلى الجامع وصلّيت وابتهلتُ إلى مبدع الكل – سبحانه - حتى يفتح لي المنغلِق منه، وكنت أسهر، فمهما غلبني النوم شربت قدحًا حتى استحكم معي جميع العلوم .

وقرأت كتاب (ما بعد الطبيعة) فما كنت أفهم ما فيه، والْتَبَسَ عليَّ غرض واضعه، حتى أعدتُ قراءته أربعين مرةً، وصار لي محفوظًا، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصودَ به، وأَيِسْتُ من نفسي، وقلت: هذا كتاب لا سبيلَ إلى فهمه، وإذا أنا في يوم من الأيام حَضَرْتُ وقتَ العصر في الورَّاقين وبيد دَلَّال مُجَلَّدٌ ينادي عليه، فَعَرَضَه عليَّ، فرددتُه ردَّ متبرِّم، معتقدًا أنْ لا فائدة في هذا العلم، فقال لي: اشتَرِ مني هذا؛ فإنه رخيص أَبيعُكَهُ بثلاثة دراهم ،وصاحبُه محتاج إلى ثمنه، فاشتريته، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابيِّ في أغراض كتاب (ما بعد الطبيعة)، فرجعتُ إلى بيتي، وأسرعت في قراءته فانفتح عليَّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظًا على ظهر القلب، وفرحتُ بذلك، وتصدقتُ في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء، شكرًا لله تعالى. » الذهبي سير أعلام النبلاء ج17، 523ط، 1996م.

لقد كان الرجل جلْدًا دؤوبًا شغوفًا بالعلم يقرأ نص كتاب أرسطو أربعين مرة، فيحفظه ولا يفهمه .

وكان الرجل دينًا محسنًا يتردد على المسجد مبتهلًا إلى الباري سبحانه ليلهمه حسن الفهم، ويتصدق شكرًا وامتنانًا لحصول الفهم. ويبيّن النص المهم أنَّ مفتاح فلسفة ابن سينا كان بيد أستاذه الفارابي ت 339 هـ/ 950م الذي نشأ في (تركستان = كازاخستان الحالية).

عبقرية الكلمة وقوة تأثيرها:

ومهما يكن من أمر فإني لا أتجاوز الحق إذا قلت : لقد مثّلت مؤلفات ابن سينا الفلسفية والطبية علامة بارزة ، ليس في تاريخ الحضارة الإسلامية فحسب ، بل في الحضارة الإنسانية كلها.

وكان لها تأثيرها الواسع العميق على المفكرين المسلمين في المشرق الإسلامي؛ فقد ملأ ابن سينا – بحق - الدنيا وشغل الناس بطبه وفلسفته.

تأمّل كيف انشغل به الغزالي أبو حامد ت505هـ/ 1111م في كتابه المشهور (تهافت الفلاسفة) وفي تآليفه الأخرى مثل (مقاصد الفلاسفة) وغيرها.

وكيف أن الفخر الرازي ت 606 هـ/ ١٢١٠م قد انشغل بفلسفته فتوفَّرعلى شرح كتابيه : (النّجاة) و(الإشارات والتنبهات).

أما ابن تيمية ت 728هـ/ 1328م فقد انشغل به كثيرا وناقش فكره طويلًا وتفصيلًا في مواضع كثيرة من كتبه وموسوعاته.

وقد شرح (إشاراته) كل من سيف الدين الآمدي ت 631هـ/ 1233م ونصير الدين الطوسي 672هـ/ 1274م.

أمّا تأثيره في الأندلس والمغرب الإسلامي فقد كان بينًا ملحوظًا، فقد اقتبس فيلسوف الأندلس الكبير ابن طفيل ت 581هـ/ 1185م عنوان قصته الفلسفية الرائعة الذائعة :(حي بن يقظان) منه ، كما واستلهم منه بعض تصوره للأمر. ومعروف أنه كان لابن طفيل تأثير واضح واسع على مفكري أوروبا وأدبائها وفلاسفتها وعلمائها.

كما أثّر ابن سينا ، وشغل رمز الفلسفة الإسلامية في الأندلس : ابن رشد الحفيد ت 595هـ/ 1198م، ...فقد انشغل ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) بالرد على كتاب أبي حامد الغزالي (تهافت الفلاسفة) الذي كان في - جانب كبير منه - مناقشة ودحضًا لبعض أطروحات ابن سينا الفلسفية .

ولم يكتف ابن رشد بذلك ، فانشغل بطب ابن سينا ، وشرح ألفيته في الطب، أمّا كتاب (القانون) فقد كان ذائعًا في المغرب الإسلامي والأندلس ، مثلما كان عمدة في حقل الطب في المشرق الإسلامي .

وقد شغل فكر ابن سينا العلاّمة ابن خلدون ت 808هـ/ 1406م وانعكس ذلك في مقدمته العبقرية.

أثرعبقرية ابن سينا الطبية والفلسفية على العقل الأوربي :

بيد أنّ ما يستحق الوقوف عليه ورصدَه ، فهو مدى تأثير عبقرية ابن سينا الطبية والفلسفية في العقل الغربي . يرى دارسو ابن سينا من الغربيين أن تأثيره على الحياة العلمية والفكرية والدينية كان واسعًا عميقًا ممتدًا... فقد اعتمد طلاب وأساتذة كليات الطب في أوروبا على كتابه المسمى (القانون في الطب) لمئات السنين، وكان يدرس أولًا في لغته العربية، ثم في نشرة باللغتين العربية واللاتينية، ثم في ترجمته اللاتينية. تذكر دائرة المعارف البريطانية BE أن كتاب القانون في الطب Canon of Medicine لابن سينا Avicenna كان الكتابَ العمدةَ في الطب في الغرب والشرق على السواء، وامتدت مرجعيته في الغرب منذ القرن الثاني عشر: إلى 1650م القرن السابع عشر.

جسور نقل المعرفة الإسلامية إلى العقل الغربي :

مثّلت الأديرة والكنائس معابر وجسورًا لترجمة العلم والفلسفة الإسلامية إلى العقل الغربي، فتأسست في الأديرة مثل : دير Mon Cassin في إيطاليا، ودير CLUNYفي فرنسا ، وأسقفية طليطلة في الأندلس، مدارسَ منتظمة لترجمة العلم والفلسفة الإسلامية إلى اللغة اللاتينية.

تذكر الباحثة الرائدة في دراسة تراث ابن سينا المستشرقة (ماريا جواشون) في كتابها (فلسفة ابن سينا وأثرها في أوروبا خلال العصور الوسطى، ترجمة رمضان لاوند، بيروت 1950م، وبحثها: تأثير ابن سينا في الغرب، ترجمة د. علي زيعور).

فتقول ماريا جواشون: إن أسقف طليطلة الفرنسي R: de Sauvetat قد أسس ورعى منذ مطلع القرن الثاني عشر مدرسةً كبيرة متخصصة في ترجمة العلم والفلسفة الإسلامية إلى اللغة اللاتينية ، وجمع فيها تراجمةً من الإسبان والمستعربين والطليان واليهود والإنجليز وغيرهم.

وتعلق جواشون: لقد أُنجز في مدرسة طليطلة هذه عمل ضخم ،واستمرت الترجمات فيها تترى حتى منتصف القرن الثالث عشر.

وقد بدأت ترجمة موسوعتي ابن سينا؛ (القانون في الطب) و(الشفاء في الفلسفة) إلى اللاتينية منذ القرن الحادي عشر وأحدثتا تحولًا معرفيًا هائلًا في العقل الأوروبي.

وتشير جواشون إلى أن أساقفة الكنيسة قد ضاقوا ذرعًا بفلسفة ابن سينا وما تحدثه من أثر، فاصطنعوا العراقيل لوقفها وإدانتها، لكن تأثيره الطبي والعلمي الذي اتسع واشتد في أوربا حال دون ذلك .

)هذا، وأنوه هنا أن الدكتورة زينب الخضيري قد نشرت بحثًا جيدًا عن: ابن سينا وتلاميذه اللاتين منذ سنوات .(وبعد:

فهذه الإطلالة السريعة على ما كان لابن سينا من تأثير على الطب والفلسفة في الشرق والغرب ، تكشف لنا بوضوح أن الرجل كان من عباقرة العالم الأفذاذ، وأنه كان بحق عبقرية عابرة للتاريخ والجغرافيا.

لقد كان ابن سينا عقلًا مجتهدًا طُلَعَةً ساعيًا للفهم، وكل مجتهد ساعٍ للفهم مشكور إنْ أصاب ، ومشكور- كذلك - إنْ أخطأ .وأرى - من جانبي - أني لا أتفق مع بعض اجتهادات وأطروحات الرجل في ميتافيزيقاه وإلاهياته، لكني أبدًا لا أصف الرجل بكفر أو إلحاد ، ولا أفسِّقه ولا أبدعه، وأرى أن ذلك ليس من مقتضيات البحث العلمي بحال ، وأراه قد اجتهد وتأوَّل فأصاب وأخطأ .وهذا هو الموقف العلمي السديد الذي ينبغي أن نتخذه مع ابن سينا ومع غيره من العلماء والفلاسفة والمفكرين ..السابقين والمعاصرين.

❖ الإسلام، وعَقد الصُحبة المصيري



➢أد. ناصر أحمد سنه

يوما بعد يوم تحمل إلينا الأيام، ومجريات الأحداث ما يبين أن لـ "عقد الصحبة الفريد" أثره الإيجابي أو السلبي. ليس فقط في واقع هذه الحياة الدنيا، بل يتعداه إلي "المصير الأخروي" يوم القيامة. مما يجعل هذا "العقد" من "العقود المصيرية"، يقول الله تعالي:"وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا"(الفرقان:27-29).

أيها الشباب: علاقات الصحبة التي تتكون علي غير هدي من الدين ستكون نتائجها رهيبة في الآخرة، وسيقف من كانوا يجتمعون في الدنيا ـ كأصدقاء سوء ـ على مواقع الضلال والعبث والفساد والفسوق والانحراف الخ، أمام مصير محتوم ليُحمّل كل واحد الآخر المسؤولية عما آلت إليه هذه العلاقة:"الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، يا عباد لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ"(سورة الزخرف، الآيتان: 67-68). خلة انقلبت إلى عداوة.. عدواً كان في ثوب صديق، وضحكات انقلبت إلي آهات، وأفراح تبدلت إلي أتراح. أما المتقون المتعاونون على البر والتقوى، المتواصون بالحق والصبر، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون علي فوات أي شيء من "لهو" هذه الدنيا الفانية.. فلقد بقي "عقد" خلتهم الإيماني النقي الصافي موصولا بين الدنيا والآخرة.

وفي نطاق الاستكبار والاستضعاف.. هنالك تتبدى حسرة وندامة هذه العلاقة، وعلاقة كل مَن يتبع غيره إتباعا اعمي، فيسير علي غير هدي من الشرع والقيم والأخلاق والمعاملات: "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ

الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"(سورة البقرة، الآيتان:166-167).

يا شباب: إن عظم ذلك الأثر ونتائج تلك العلاقات تلح علي مداومة التأكيد علي حسن اختيار الأصحاب والأصدقاء والأخلاء، والوعي بأدب وحقوق الصحبة والصداقة والخلة. قال الإمام الغزالي: "إذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمر دينك ودنياك فليكن فيه شرط خمس لا يصلح إلا بها. الأولي: العقل، فلا خير في صحبة الأحمق الذي يسوق غلي الوحشة والقطيعة وتضر مصاحبته من حيث يريد نفعك، لذا فعدو عاقل خير صديق أحمق جاهل. الثانية: حسن الخلق، فلا تصحب من ساء خلقه، ولا يملك نفسه عند الشدة والشبهة والشهوة. الثالثة: الصلاح، فلا تصحب فاسقا، فمن لا يخاف الله تعالي لا تؤمن غوائله، وهو يتغير بتغير الأعراض والأحوال، ومداومة مشاهدة الفسوق والمعصية تزيل عن القلب كراهيتها، وتهون عليه أمرها. الرابعة: لا تصحب حريصا، فصحبته علي الدنيا سم قاتل. الخامسة: الصدق، فلا تصحب كذابا، فانك منه في غرور، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد، ويبعد عنك القريب."

ويضرب لنا القرآن الكريم أنموذجاً رائعاً لعلاقة "الصحبة الإيمانية"، وحسن الاختيار الذي جمع بين الفتية "أصحاب الكهف". لقد كانت آيه.. آية رحمة ورشد وإيمان وهدي، وأنموذجاً خالداً:"أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا،إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى"(سورة الكهف، الآيات:9-13).

أي شباب: متى قامت بين المسلم وأخيه صحبة فلها آداب وحقوق يوجبها "عقد" الصحبة، وميثاقها المصيري". وعندما تتسق دائرة الإيمان مع دائرة الصداقة تتغلف هذه العلاقة بسياج يميزها في سماتها عن باقي العلاقات الاجتماعية والإنسانية. فهي تحمي هذه الصحبة وتصونها، وتزيدها قوة ومنعة ومتانة.

ففي ظل الخلة الإيمانية يعيش المسلم وهو يعلم ويوقن أن غايته الكبرى لا ينالها إلا بالحب في الله تعالي.. سبيل مؤدي لدخول الجنة، والتظلل بظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، قال صلى الله عليه وسلم:"والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام

بينكم" (رواه مسلم)، ".. ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه.." (متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله). فبإشاعة السلام والتواد والتكافل بين المؤمنين يتحقق التماسك والاستقرار الاجتماعي الحقيقي:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى" (رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه). كما إننا عندما:"تنمو في نفوسنا بذور الحب والعطف والخير، نُعفي أنفسنا من مشقات كثيرة، فلن نحتاج لتملق إنسان، فالصدق كائن، ولن يخلو إنسان من مزية، ولن نضيق بالمخطئين فالعطف والشفقة والنصيحة تشملهم."

ومن حق الصاحب علي صاحبه: يبدأه بالتحية عند إقباله، مع دعوته بأحب أسمائه، ويوسع له في المجلس، ويخرج له من مكانه، ويشيعه عند قيامه، ويصمت عند كلامه، ويترك المداخلة فيه، ويُحسن الإصغاء لحديثه حتى يفرغ من خطابه، ويشكره في وجهه علي صنيعه، ولا يكلفه من أشغاله، ويروح عن قلبه من همومه وأحزانه، ويستر عيوبه ويكتم أسراره، وعدم التشهير بما قد يذمه الناس به، ويثني عليه بما يعرفه من محاسنه وخصاله الحميدة، ويعفو عن زلاته وهفواته فلا يعتب عليه، ويسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وعن قدح غيره فيه، الدعاء له بظهر الغيب في حياته، كما الثناء عليه والإحسان لأقاربه بعد مماته، ويذب عنه وعن عرضه في غيبته كما يذب عن نفسه، وينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إليه، وترك المماراة فيه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، فإخفاء ذلك عنه من الحسد، والإعانة بالنفس مبادرة في أوقات الشدة والضيق، والسعي لقضاء حوائجه، وتفريج كرباته، ومشاركته أتراحه وأفراحه، والإيثار بالمال فإن لم يتسن ذلك فبذل الفضل منه عند الحاجة، ويضمر له مثل ما يظهر فيكون صادقا في وده سرا وعلانية .

إن أخاك الحق من كان معك　　　　ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا رأيت الزمان صدعك　　　　شتت فيه شمله ليجمعك

وعمليا..ً يفرض الإسلام على المسلم أن ينفتح على أخيه المؤمن ليحمل همّه وليفرّج كربه، وليقضي حاجته، ويعينه في جميع أموره، ويحفظه في نفسه وماله وعرضه، تنفيذا لما أخبر به رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قال: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنها، برقم:2262). وفي أعرافنا الاجتماعية:"الصديق عند الضيق"،

و"في الأسفار تعرف الإخوان"، و"الصاحب ساحب". لكن دوما، كما يقول الأستاذ "خالد محمد خالد": "اجعل من نفسك مرفأً للزوارق التائهة التي زلزل الموج والإعصار ثباتها."

ومن روائع الوصايا في هذا الشأن : "يا بني إذا عرضت لك إلي صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك.. اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأي منك حسنة عدها، وإن رأي سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداءك، وإن نزلت بك نازلة واساك،.. اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمرا آمرك، وإن تنازعتما آثرك"(راجع: جمال الدين القاسمي الدمشقي:"جوامع الآداب"، إعداد خليل إبراهيم علي، 1984م). ومن آداب الصحبة أن ترفض صداقة من اشتهر بالبخل، والكذب، والنميمة، والتكبر، والسفه، والخفة، والطيش، وعدم حفظ السر، وحب الهذر والهذيان، والتهتك، والخلاعة، والكسل وكثرة الشكوي الخ.

كل من لا قيت يشكو دهره   ليت شعري، هذه الدنيا لمن ؟

كما لا يقبل في التآخي من أصيب بخلل في عقله، أو شذوذ في عقيدته، وعباداته، ومعلاماته، وأفكاره. والخلاصة":الإنسان كائن اجتماعي" والصحبة والصداقة هي نوع من أنواع "الوحدة الإجتماعية الوجدانية" بين الناس. ولقد كانت تلك بعض الخطوط التربوية والنفسية والاجتماعية التي من خلالها يتبين كيف يكون التأثر والتأثير والأثر ـ الدنيوي والأخروي ـ لهذه العلاقة التي تربط المرء بأخيه أيا كان نوعه. فالطبع يسرق من الطبع. لذا فعلي المسلم أن يُقوّم دوما علاقاته لتكون سوية صالحة صحيحة سليمة. ولن يكون ذلك إلا بعرضها دوماً علي الشرع الحنيف، قرآناً، وسنة.. فهما المقياس والأنموذج.

السلم الاجتماعي

بين الرؤية الإسلامية والنظريات المادية

دراسة حجاجية مقارنة



إعداد

أ.م.د. أمـــاد كاظم البرواري

مدرس في جامعة زاخو – اقليم كردستان العراق

ملخص البحث

يتلخص مضمون هذا البحث في بيان أن الأصل في المجتمع الإنساني هو السلم والتعايش والتعاون وفق المنهج الرباني المتمثل في الرسالات السماوية، والمبادئ الإنسانية المشتركة، وليس الصراع والصدام كما ذهبت اليه الداروينية، ويهدف الى إبراز دور الرؤية الإسلامية ودورها في إرساء الأسس التي يبنى عليها التعايش بين الحضارات والأمم، وجعلها مرجعاً لتحقيق فكرة العيش المشترك واحترام المعتقدات والثقافات المختلفة، والتعاون لبناء مجتمع انساني مسالم. ويتناول البحث النقد البناء للفكرانيات المادية والاستعلاء الحضاري بغية تطهير المفاهيم منها وذلك للتقارب بين الشعوب وإزالة الفوارق الطبقية والعرقية بينها التي تحول دون السلم الاجتماعي والعيش المشترك.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلاله، ويسّر له سبيل العيش والسعادة، وأكرمه بالعقل والحكمة وأزال عنه ظلماء الجهالة، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعد قضية تعدد الأديان والحضارات وتنوع الثقافات واختلاف الأفكار سنة إلهية كونية، وإنها تعود الى أصل واحد فالمجتمع الإنساني بكل أجناسه وأعراقه مشترك في الأبوة الأدمية (عليه السلام). غير أنه تتغير المفاهيم وتتنوع الأفكار وتختلف الآراء حول التعدد من حيث الاختلاف في كونه قضية تنوع واختلاف أو تضاد وصدام، ومن حيث الاختلاف في الأصل فيه أهو السلم والتعايش والتعاون أم الصراع والصدام. فمنهج الإلهي المتمثل في الرسالات السماوية والكتب المقدسة اتخذ من الإيمان بالله والقيم الإنسانية والأخلاقية والمشترك الإنساني في الخِلقة وسيلةً للتعارف بين الشعوب والتعاون فيما بينها لإعمار الأرض و العيش بشراكة عليها وحفظ النفس الإنسانية من ضروريات الدين في حين أن الفكرانيات المادية انتهجت النظرية الداروينية التي اعتمدت على قانون التطور التي تحكمها نظرية (البقاء للأقوى) تجعل من الصراع بين الحضارات ضرورة كونية للحفاظ على الأجناس الراقية والقضاء الأجناس المتدنية بناءً على قاعدة (الصراع من أجل البقاء) وهذا ما كان وراء الحروب العالمية التي فرقت بين الشعوب والغت التعايش بينها، .وهذه هي المشكلة التي دعتنا الى كتابة هذا البحث بغية إزالة الصدأ الفكري عن مفهوم الإنسانية وبيان الأصل فيه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أُقسمه على خمسة مطالب تسبقها مقدمة وتمهيد وتتلوها خاتمة:

التمهيد: مفهوم السلم الاجتماعي والتعايش السلمي.

المرتكز الأول: **المجتمع الإنساني بين مستند الحق ومستند القوة**

المرتكز الثاني: **المجتمع الإنساني بين الفضيلة والمنفعة.**

المرتكز الثالث: **المجتمع الإنساني بين التعاون والتصادم**

المرتكز الرابع: **المجتمع الإنساني بين الاخوة الإنسانية والعنصرية العرقية**

المرتكز الخامس: **المجتمع الإنساني بين الهداية والانحلال الخلقي**

المرتكز السادس: **جهود علماء المسلمين في وضع اسس تنظيرية للتعايش والسلم الاجتماعي**

التمهيد

مفهوم السلم الاجتماعي والتعايش السلمي

أولاً: مفهوم التعايش السلمي

أ–الدلالة المعجمية للفظتي (السلم) و (الاجتماعي)

السِّلم: (**السين** واللام والميم) أصل صحيح، معناه التخلص من الآفات والنجاة منها، فهو بمعنى السلامة، وكذا ما اشتق من هذه المادة فهو يدل على هذا المعنى، فالسلم: ان يسلم الانسان من العاهة والاذى فالله جل ثناؤه هو السلام، لسلامته مما يخلق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. والسلامة اسم مصدر من سلَّم يسلِّم تسليما، كالكلام والطلاق، وهو بمعنى النجاة والتخلص مما لا يُرغب فيه، يقال: (سلم من الأمر) إذا نجا منه [(1)].

الاجتماعي: اسم منسوب إلى اجتماع وهو مصدر اجتمع، مشتقة من الفعل (جمع)، وهو أصل صحيح من (ج.م.ع). ويقصد بالاجتماع تجمع الناس والتقاؤهم على شكل جماعة في مكان وزمان معيّنين وتربط بينهم مجموعة من الأفكار والمبادئ والعادات، التي تتعلّق بالمجالات الحياة الدينية والثقافية والسياسيّة، والاقتصادية...الخ[(2)] .

ب: الدلالة الاصطلاحية لمصطلح (السلم الاجتماعي):

---

(1) ينظر الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ) **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1979م):3/90-91، وابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت: 711هـ)، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر: بيروت، ط3، 1994م): 289/12.

([2]) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(770هـ) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت) :108/1.
والفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ) **قاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م):710.

هو توافر الاستقرار والامن والعدل الموجب للواجبات على الافراد والكافل لحقوقهم جميعاً في المجتمع الواحد او بين المجتمعات الإنسانية جمعاء[1] . وحري بالذكر انه لابد من وجود نظام وسلطة عادلة لتحقيق النسق الاجتماعي في إحداث الترابط والتآلف في المجتمع، وتوفير الامن المجتمعي من مناحي الحياة جميعها الإنسانية والأمينة والسياسية والاقتصادية...الخ

وتقابل المصطلح (السلم الاجتماعي) في المعجم الإنكليزية كلمة (peace society) وهي تعني التعايش السلمي بين البشر وهو المقصود من هذا البحث.

ويتجلى مما سبق ان السلم الاجتماعي يستلزم التعايش السلمي بين الفراد وهذا ما سنبينه في المطالب القادمة.

ثانياً: مفهوم التعايش من مناظير مختلفة

1-التعايش في علم اللغة: تعايش الناس أي وجدوا في مكان وزمان واحد وعاش بعضهم مع بعض بسلام وأُلفة وحسن الجوار، وتعايشت الدولتان تعايشا سلمياً أي اتفقتا على عدم الاعتداء. [2].

2-التعايش **في علم الاجتماع:** هو احترام معتقدات الآخرين وآرائهم ووجهات نظرهم للحياة وطريقة تفكيرهم وسلوكهم المبني على مبدأ الاختلاف فهو ضد التسلط والاستبداد والقهر [3].

3-التعايش في علم السياسة: أول ما ظهر هذا المصطلح كان في الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وقصد به احتواء الصراع بين المعسكر الاشتراكي والرأسمالي والسعي على تخفيف حدة الصراع وإخماد الحرب وفتح مجالات الاتصال وغرس معالم العيش المشترك، لكن حدث العكس إذ سعى كل من الكتلتين الى السيطرة على العالم وبدأ الصراع على التسلح النووي، وتطور الصراع الى درجة أنه كان يخشى ان تؤدي الى صدام دولي جديد [4].

ويظهر مما سبق أن وجه الصلة بين التعاريف المذكورة هو التعامل الموضوعي مع معتقدات وآراء الناس المختلفة والتفاهم حول الأهداف المشتركة والتعاون على تحقيقها بما يتناسب مع المصلحة الإنسانية.

4-التعايش من منظور علماء الشريعة:

([1])ينظر: البديوي، خالد محمد، **الحوار وبناء السلم الاجتماعي**، (الرياض: مركز الملك عبد العزيز، ط1،2011م) :12.

[1]. ينظر: د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: عالم الكتب، د.ط، 2008 م): 1583/2.

[2]. ينظر: أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ، (بيروت: مؤسسة ترجمان، ط4، د.ت): 704

[3]. ينظر: د. شوقي عطا الله، **تاريخ اوربا من النهضة حتى الحرب الباردة**، (القاهرة: المكتبة المصرية، د.ط، د.ت): 302-305

حري بالذكر أن ثلة من العلماء والمفكرين المسلمين أهتموا بفكرة التعايش السلمي وسعوا الى تطبيقها عملياً في الواقع الإنساني، ونذكر في هذا الصدد على سبيل التمثيل جهود بديع الزمان سعيد النورسي الذي عاصر الحرب لعالمية الثانية والصراع بين الحضارة الشرقية والغربية من جهة وبين الحضارة الغربية والإسلامية من جهة أُخرى، وقد اتصف جهوده–في إحياء المشترك الحضاري بين الشعوب والتعايش السلمي على أساسه –بالشمولية والواقعية والمنطقية والدقة. ومن خلال استقرائنا لرسائل النور للنورسي لم نقف على تعريف علمي دقيق للتعايش السلمي غير أننا استنبطنا تعريفاً له من خلال البحث في أفكاره والربط بين أقواله: وهو: إحياء المشرك الإيماني والأخلاقي والحضاري بين الشعوب وبناء العلاقات على أساسه وتجديد التعامل الإنساني القائم على مبدأ التكامل بدل الصراع والتعايش بدل الإقصاء والألفة بدل البغضاء والتعاون بدل التصادم والتعارف بـدل التعارك [1].

---

[4] ينظر: النورسي سعيد: **الكلمات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م):143.

المرتكز الأول

المجتمع الإنساني بين مستند الحق ومستند القوة

القران الكريم يستند على الحق والعدل بدل القوة:

إن إحقاق الحق في القرآن الكريم هو منتهى غاية العدالة التي هي أساس الحكم والملك والنظام، إذ الحق والعدل متلازمان، فوجود الحق يستلزم منه وجود العدل، فالعدل لازم والحق ملزومه. وتعد لفظة (الحق) من الألفاظ المحورية في القرآن الكريم، فقد وردت مائتين وثلاث وثمانين مرة فيه بمعاني كثيرة [8]. وهذا الحضور الوفير يدل على مدى اهتمام القرآن الكريم به، وتوفير كل الوسائل والسبل لتحقيقه، وترسيخ قواعده في الحكم، ومسايرة البشرية به من مناحي الحياة جميعها. وحري بالذكر أن الاستناد على الحق بدلًا من القوة في بناء المجتمع ليبرز فيصل التفرقة بين سمو دستور القرآن الكريم، ودنو الدساتير الوضعية التي وضعها المتغلبون على رقاب الشعوب بالقوة، ويتحكمون بها وفق أهوائهم، كما يتجلى من تأثير نظرية (البقاء للأقوى) على نشوء الاستعلاء العنصري، وإبادة الشعوب الضعيفة، واستغلال مواردها وطاقاتها لصالحهم. فدستور الإسلام يرفض جنس الظلم كله، ويدعو إلى العدل في الأمور كلها، بدءًا من العدل مع النفس، والعدل في الشهادة، والعدل مع البيئة، والعدل مع الكائنات كلها، والعدل في الحكم والقضاء إلى العدل مع الله في تطبيق أوامره واجتناب نواهيه. وجعل كل ذلك وسائل لتحقيق الحق وإعطاء كل ذي حق حقه. فهذا هو مكمن الصراع بين المنهج القرآني والمناهج المادية الوضعية، فأدنى غاية القران هو الانتصار للحق ومنه نشر العدالة الربانية وتطبيقها بين الناس؛ لإسعاد البشرية كلها في الدنيا والآخرة، في حين أن منتهى غاية المدينة الوضعية هو السيطرة على العالم عسكريًا

([8]) الحق: الصواب والصحيح، وضده: الباطل، وبعد استقراء بعض العلماء للفظة (الحق) في القرآن الكريم، توصلوا إلى أنها وردت بمعانٍ كثيرة، وهي:1- يقصد به الله تعالى، كما في قوله عزّ وجل: **{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ}**(المؤمنون:17)،2-جاء بمعنى (القرآن) كما في قوله تعالى:**{حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ }**(الزخرف:29)، 3-الإسلام، قال الله تعالى: **{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ}**(الإسراء:81)،4-العدل،**{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}**(النور:25)،5-الصدق، **{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا}**(لقمان:9)، 6- حق بمعنى وجب**{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي}**(السجدة:13)، 7-الحق خلاف الباطل **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}**(الأحقاف:3)، 8- الحقيقة ،**{ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ}**(الأنعام:62)،أي: مولاهم على الحقيقة.9-بمعنى الدَّين، **{وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ}**(البقرة:282)،10-بمعنى الحظ، **{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ}**(المعارج:24). ينظر: العسكري أبو هلال(ت395هـ)، تحقيق: محمد عثمان، **الوجوه والنظائر** (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، 2007م):185-188. وابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، 1984م):265-268.

بقوة السلاح، واقتصاديًا بقوة المال، وفكريًا بقوة العولة والتكنولوجيا الحديثة، واستغلال موارد الشعوب وطاقاتهم في صالحهم، وهذا يؤدي إلى التنازع والتصادم والتنابز والتحارب

آما الفكرانيات المادية فتستند على القوة بدلا من الحق:

فإن الأساس الأول الذي بني عليه مدنية الغرب هو القوة بدلًا من الحق، وهذا لأن الغرب مذ بداية تمدنه أعتمد على النظرية (الصراع من أجل البقاء). وقد أكد ذلك تشارلز داروين في كتابه (أصل الأنواع) إذ ذهب إلى أن الصراع من أجل البقاء ينطبق على الأجناس البشرية، وأن الأجناس الموهوبة (الأوربيين البيض) انتصرت في الصراع على الأجناس الأفريقية والآسيوية. وتنبأ بأن الأعراق المتحضرة ستستأصل الأعراق الهمجية في كل أنحاء العالم، وأن هذا الصراع ستؤول إلى زوال أعراق كثيرة بحيث لا يبقى إلا الأعراق الأكثر تمدناً [(9)]. وهكذا أنتجت الداروينية أيدولوجيات العنف المبنية على عقيدة (البقاء للأصلح والأقوى). وقد استوحى أدولف هتلر أفكاره من نظرية داروين، لذلك اعتقد أن العرق الآري (الألمان) من أرقى الأعراق، فقرر بإخضاع كل الأجناس لسلطة الألمان معتمداً على القاعدة الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) [(10)]، فاستخدم الوسائل العسكرية التي أزهقت أرواح الملايين، وقد أكد هتلر ذلك بوضوح في كتابه الموسوم بـ(كفاحي) إذ رأى أنه يجب على الجنس الأعلى أن يحارب الأجناس المتردية، وإبادتهم لإنتاج مجتمع أفضل [(11)]. وفي الوقت نفسه بنى الشيوعيون مذهبهم الإلحادي على النظرية عينها، وعدوا المذهب الماركسي تطبيقاً للنظرية الداروينية في العلوم الاجتماعية [(12)]. وخاضوا حروبًا شرسة ضد كل من عارضهم أو خالف أفكارهم، وشرعوا في إبادتهم وإزالتهم عن الوجود. نستنتج مما سبق أن النظرية الداروينية كانت من الأسباب الرئيسة في الصراع بين الحضارات ونشوب الحروب، ومنها الحربان العالميتان اللتان أبادتا الحرث والنسل وأغرقتا العالم في بحار الدم.

---

(9) **Charles Darwin (1871) The Descent of Man, 1st edition, pages *168 -169**

(10) ميكافللي، **كتاب الأمير**، ترجمة: أكرم مؤمن، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، د.ت) ص:91.

(11) ينظر: هتلر أدولف ،1995، **كفاحي**، ترجمة: لويس الحاج، الطبعة الثانية، ص: 161-163

(12) ينظر: كارل ماركس، 1985، **رأس المال**، **ترجمة**: د. فهد كم نقش، موسكو: دار التقدم، ج1، ص: 58-59

المرتكز الثاني

المجتمع الإنساني بين الفضيلة والمنفعة

الإسلام يسعى لتحقيق الفضيلة بدلاً من المنفعة

وتُعرّف الفضيلة في علم الأخلاق: بأنها العلم بالخير والعمل به، والاستعداد الطبيعي أو المكتسب لسلوك طريق الخير، ومطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي [13]. وعرفها النورسي: بأنها سجية في النفس، ترقي الإنسان وترفع بنفسه فوق الذات بحيث يخرج الإنسان من الأنانية والتركيز على النفس إلى محبة الله ومحبة الخير للبشرية جمعاء، وتمُكِن النفس من الانتصار على نوازع الشر وإغراءاته كلها، إذ قال:" وهكذا فإن أجمل خميرة لتنوع النوع البشري، وأهم نابض ومحرك له، هو التسابق لإحراز الفضيلة المتسمة بالإيمان الحقيقي، فلا يمكن رفع الفضيلة إلا بتبديل الماهية البشرية وإخماد العقل وقتل القلب، وإفناء الروح" [14]. وقال أيضا:" إن الفضيلة المتّسمة بالإيمان، كما لا تكون وسيلةً للإكراه، لا تكون سببًا للاستبداد قطعًا. إذ الإكراه والقسر والتسلط على الآخرين رذيلة ليس إلا، بل إن أهم مشرب لدى أهل الفضيلة هو الاندماج في المجتمع بالعجز والفقر والتواضع"[15].

وقد ذكر النورسي (الفضيلة) في المنهج القرآني في مقابلة (النفعية البراغماتية) في الفكرانيات المادية. وكان هذه المقابلة إرهاصًا منه لبيان علو مقاصد القرآن الكريم، ودنو أفكار المدنية الغربية. فحضارة القرآن قائمة على الفضيلة الأخلاقية، التي تنقي النفوس من الأنانية، وتحثها على الإيثار ومحبة الخير للجميع. وهذا من شأنه التقارب بين الشعوب والتعاون فيما بينها على الخير والإصلاح والتنمية والتطور، في حين أن المدنية الغربية قائمة على المصلحة الذاتية والمنفعة الشخصية، ومبنّية على قياس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين [16]. وهذا من شأنه إفراز العداوات والصراع والتخاصم مما يؤدي إلى انهيار المجتمعات من الناحية الخلقية والإنسانية. وقد أثبت النورسي ذلك بقوله :" لما

([13]) ينظر: جميل صليبا،1982م، **المعجم الفلسفي**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص:148، والفيلسوف كانْت إيمانويل ،1965، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ص:103-105.

([14]) النورسي سعيد، **اللمعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م) ص:238.

([15]) المصدر نفسه، ص:239.

([16]) ينظر: جوليان باجيني، **الفلسفة**، ترجمة: أديب يوسف شيش، (دمشق: دار التكوين، د.ط، 2010م): 112.

كان المدنية الغربية لم تتأسس على الفضيلة والهدى، بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية. وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها، وسبب مهم لحاجة العالم مدنية آسيا (الإسلامية)التي ستكون لها الغلبة عن قريب"[17].

آما الفكرانيات المادية فهي تهدف الى تحقيق المنفعة بدل الفضيلة:

ونقصد بالمنفعة هنا المذهب النفعي البراغماتي (Pragmatism)[18] السائد في الغرب، ويمكن تعريفه: بأن صواب أي عمل من الأعمال يحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة المتعة واللذة للإنسان أو التقليل من الألم والشقاء له، وإن كان مخالفاً للدين والقيم الإنسانية والأخلاقية [19]. فهو يركز على المتعة فحسب من دون اعتبار لأيةِ قيم أو قوانين. ولا يخفى أن لهذا المذهب أثرًا سلبيًا في بنية المجتمع، وتوجيهه نحو الأنانية والمصلحية النفعية، ويربيه على الازدواجية في التعامل بحيث يدفع الفرد إلى التظاهر بأخلاق نفعية نفاقاً بغية الضفر بمنفعة مادية أو معنوية. فيغدو التعامل بين أبناء المجتمع مبنيًا على روابط مادية نفعية، ولا يمكن أن يحدث التعاون إلا على أساس المصلحة النفعية من دون الاعتبار للدين والأخلاق، بحيث يجعل منتهى غاية الإنسان هو الحصول على المتعة واللذة فحسب. وهكذا تكون المنفعة مقياسًا ومعيارًا وأصلًا في التعامل والتعاون، وهذا ما يؤدي إلى تفكيك للمجتمع، وتصنيفه على طبقات راقية ودانية، واستغلال الأكثرية العاملة لصالح الأقلية المسيطرة على الموارد، وحدوث لتنابز والتخاصم بين الطبقات الكادحة المستغَلة والطبقات المالكة المستغِلة.

([17]) النورسي سعيد، **صيقل الإسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)، ص:471.

([18]) تأسس هذا المذهب في إنجلترا، ومن أبرز شخصياته التي آمنت به وروجت له: جيرمي بنثام (ت1832م) وجون ستيوارت مل (ت1873م) ديفيد هيوم(ت1776م) الذي كان يري أنه لا شيء يؤثر في الفعل الإرادي غير اللذة والألم و السعادة والشقاء. واستفاد بنثام من كل من سبقوه منتهيًا إلى نظرية متكاملة، وهي: أن المنفعة فكرة فلسفية لا تلتزم بالأصول الدينية، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين. ولا شك في أن هذه الفكرة تهدم أسس العقيدة وقيم الأخلاق، وتحول المجتمعات إلى غابة تتصارع فيها المنافع بلا ضابط وقانون. ينظر: جوليان باجيني، **الفلسفة**، ص: 112.

([19]) ينظر: المصدر نفسه، ص:110-111، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، (بيروت، منشورات عويدات، ط2، 2001م) ص:1514، ومقداد يالجين، **علم الأخلاق الإسلامية**، (الرياض: دار عالم الكتب، ط2، 2003م):38-39.

المرتكز الثالث

المجتمع الإنساني بين التعاون والتصادم

دستور الإسلام هو التعاون بدلاً من التصادم والتزاحم

إن الأساس الثالث لحضارة القرآن هو التعاون بين الشعوب فيما اتفقوا عليه من المعتقدات الدينية، والقضايا الخلقية والاجتماعية والاقتصادية، والأمور المادية والأفكار السياسية. وذلك لأن العيش المشترك يقتضي التعاون بين البشر، وتبادل المنافع المادية والمعنوية بين الشعوب. وإن ذلك لا يمكن إلا بتنمية مستوى الوعي الفردي ليدرك أن التعاون فضيلة أخلاقية وضرورة إنسانية بعكس المدنية الغربية التي تستعلي على الشعوب الضعيفة، وتسعى إلى إخضاعها لسلطانها بقوة السلاح والاقتصاد من خلال السيطرة على ثروات العالم واحتكارها، وهذه من الكوارث الأخلاقية التي تعصف بالبشرية فتهدم القيم والمبادئ، وتنزع منها الصفة الإنسانية وتنزلها من درجات الكمال إلى دركات الانحطاط؛ لكونها تؤدي إلى ظهور الفوارق الطبقية المبنية على الأنانية والاستعلاء، وهذا ما يؤول إلى التنافر والتخاصم والاقتتال بين الشعوب.

وهكذا يتجلى بوضوح أن الأنانية والاستغلال مرض الفكرانيات المادية العصر الحديث، وإن الرؤية القرآنية الرافضة للاستغلال نابعة من مبدأ تكريم الإلهي للبشر جميعاً من دون تمييز بين جنس وآخر كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}** (الإسراء: ٧٠).

أما الفكرانيات المادية فدستورها التصادم والجدال بدل التعاون

أن من أسس التي بني عليه الفكرانيات المادية هو الجدل وتقديس العقل، واعتباره المصدر الرئيس للحكم على الأمور كلها المادية كالأشياء المحسوسة، والمعنوية كالأخلاق، والغيبية كالعقائد. وهذا بدوره يثر الجدال في الأمور الفكرية والعقدية، والتنازع في تميز الفضائل من الرذائل والحسن من القبح؛ وذلك لأن العقول متفاوتة ولعدم وجود مرجعية ومعايير ثابتة يمكن الرجوع إليها عند الاختلاف. وهذه الاختلافات الفكرية تولد التخاصم والتصادم بين أتباع المذاهب الفكرية والعقدية والفلسفية.

المرتكز الرابع

المجتمع الإنساني بين الاخوة الإنسانية والعنصرية العرقية

الإسلام رابطته الأخوة الإيمانية والإنسانية بدلا من العنصرية

إن من مميزات المنهج القرآني أنه شامل لمناحي الحياة جميعها، وعامة للبشرية جمعاء من دون التميز بين عرق وجنس وقومية، إذ جعل من الإيمان والإحسان والتقوى والإصلاح قاعدة للتفاضل، كما قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} (الحجرات: ١٣)، فهذه الآية الكريمة تكاد تستقل بوضع معالم كاملة، للتعايش بين الشعوب وللعدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر. وقد دلت الآية بصريح العبارة على أن معيار التفاضل هو التقوى وليس النسب أو الجنس أو اللون، ودلت بمفهومها على رفض العنصرية والتعصب الجاهلي. أما مدنية الغرب فقد قامت على التمييز العنصري للجنس الغربي الأبيض، واستعلائهم على البشرية بقوتهم وإمكانياتهم، وقد أدى ذلك إلى إخلاء القارة الأمريكية الشمالية من الهنود الحمر بعد إبادتهم ومحوهم عن ظهر الأرض، وبناء المدنية الأمريكية على أكتاف الأفريقيين السود الذين استعبدوهم بعد أسرهم في الحروب، وجلبهم قسرًا من القارة الأفريقية [20]. ودفعتهم عنصريتهم إلى الحروب الصليبية ضد المسلمين والغزو الاستعماري لبلاد المسلمين في الشرق واستغلال ثرواته النفطية والمعدنية في بناء مدنيَّتهم. وقد حاول الغرب بث النزعة القومية والشعوبية والعنصرية بين الشعوب المستضعفة وتكريسها بين الأمم المخالفة لهم بغية تأجيج المنازعة بينهم لإضعافهم والحيلولة دون توحيدهم، ومن ثم السيطرة عليهم واستغلال مواردهم. وقد أكد الأستاذ أن المدنية الغربية تقوم على استغلال أكثر شعوب العالم لإسعاد الأقلية الغربية. في حين أن الحضارة القرآنية تقضي بتحقق السعادة للبشرية جمعاء، كما قال الأستاذ:" فقد دفعت المدنية الحاضرة ثمانين بالمائة من البشر إلى أحضان الشقاء، وأخرجت عشرة بالمائة منها إلى سعادة موهومة زائفة، وظلت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك، علمًا أن

(20) ينظر: بروتولومي دي لاس كازاس، (د.ت) **المسيحية والسيف**، ترجمة: سميرة عزمي الزين، (منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ط، د.ت) ،23-25. وكافين رايلي،1406هـ -1986م، **الغرب والعالم**، 2/106-107.

الساعدة تكون عندما تصبح عامة للكل أو للأكثرية؛ بَيدَ أن سعادة هذه المدنية لأقل القليل من الناس؛ لأجل كل هذا لا يرضى القرآن الكريم بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أو لا تعم الغالبية العظمى" [(21)].

أما الفكرانيات المادية فرابطتها العنصرية والاستعلاء العرقي:

أن ظاهرة التمييز العنصري–بحسب رؤية عدد من علماء الأنثروبولوجيا–لم تكن موجودةً في العصور الأولى من النشأة الإنسانية وفي المجتمعات البدائية القديمة، بل هي حادثة فيما بعد في المجتمعات التي ارتقت فكريًا وماديًا بصورة نسبية [(22)]. وقد ارتبط الغرب بالعنصرية الدينية مذ أن كانت السلطة للكنيسة الكاثوليكية التي كانت تحارب أتباع الكنائس الأخرى كالبروتستانتية والأرثوذوكسية فضلاً عن محاربتها لأتباع الديانات الأخرى كما في الحروب الصلبية على العالم الإسلامي التي أدت إلى إبادة ملايين من المسلمين في الأندلس وفلسطين وبلاد الشام. وبعد الثورة العلمانية على الكنيسة الكاثوليكية، اندثرت العنصرية الدينية وحلت محلها العنصرية الإثنية والشعوبية، فقد ظهرت مذاهب عنصرية تنادي بالتفوق العنصري للشعوب الأوربية على غيرها من الشعوب، وترقي الجنس البيض على غيره من الأجناس. وهذا ما دفع الإنسان الغربي إلى التحكم في مقدرات الشعوب الأخرى، واستعبادها في إعمار الغرب من الناحية العمرانية والبينة التحتية [(23)].

وقد غدت النظريات القائمة على الأسس العنصرية والنقاء العرقي والبقاء للأقوى ظاهرة في كل أنحاء العالم، تلك النظريات التي دونها وأنتجها مفكرو أوربا وفلاسفتهم أمثال لا مارك وتشارلز داروين ونيتشه وغيرهم. وقد أنتجت تلك النظريات ظاهرة الاستعلاء العرقي، وأسهمت في حروب مدمرة في العالم وجرائم ضد الإنسانية، منها: ما أقدم عليها الأوروبيون في إبادة عشرات الملايين من الهنود الحمر السكان الأصليين في أمريكا [(24)]. وكذلك استرقاقهم للزنوج من أفريقيا، وبيعهم في أوروبا وأمريكا، وتسخيرهم للخدمة والبناء والحروب كما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية، إذ استخدمت الدول الأوروبية جنودًا من الدول المستعمَرَة للقتال في صفوفها

([21]) النورسي سعيد،2011م، **صيقل الإسلام** :336.

([22]) ينظر: كافين رايلي،1406ه -1986م، **الغرب والعالم**، ترجمة: د. عبد الوهاب المسيري، و د. هدى عبد السميع حجازي، الكويت: عالم المعرفة، (د.ط). ج2، ص:100.

([23]) ينظر: وِل ديورَانت، 1408 ه -1988 م **قصة الحضارة**، ج14، ص:222، 390-392، ج39، ص:201-203. وعنان، محمد عبد الله، 1417 ه -1997 م، **دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة: ج5، ص:308-309.

([24]) ينظر: بروتولومي دي لاس كازاس، **المسيحية والسيف**:47-49.

رغمًا عن إرادتهم [25]. وما زال الغرب ماضيًا في استرقاء الشعوب، واستغلالها لكن بوسائل حديثة وأساليب جديدة، وذلك عن طريق الهيمنة الأمريكية على قرارات الأمم المتحدة واستغلالها لصالحها في حروبها العسكرية والاقتصادية والإعلامية على المسلمين والقضاء على كل قوى يعارضها أو يخالف سياساتها واستراتيجياتها في العالم، كما هو واضح من حربها المباشر على العراق وأفغانستان وحربها غير المباشر في فلسطين، وسكوتها عن الجرائم والإبادة الجماعية ضد المسلمين في سوريا ومصر و بورما ومالي وأفريقيا الوسطى وغيرها، وقد فاقت ضحايا تلك الحروب الملايين من البشر فضلًا عن الجرحى والمشردين. وليس ثمة شك أن العنصرية الغربية ضد الإسلام وهيمنتها على قرارات الأمم المتحدة هي السبب الرئيس في تلك الجرائم.

المرتكز الخامس

المجتمع الإنساني بين الهداية والانحلال الخلقي

يهدف الإسلام إلى إنشاء مجتمع عفيف وهداية الناس بدلاً من الانحلال الخلقي.

إن المنهج القرآني يخدم البشرية بارتقاء النفوس بالإيمان بالألوهية والربوبية، وبنائها على الأخلاق الفاضلة التي بها تبنى الأسر والمجتمعات، وتحرر البشرية من الضياع والسقوط في المهالك، بخلاف المدنية الغربية التي تفسد فطرة الإنسان بالفلسفات المادية، وتجنب عقله عن الإيمان والانقياد للأحكام الدينية والضوابط الأخلاقية والقيم الاجتماعية، وتشجع الملذات المادية، والشهوات النفسية والجنسية، وتثير الشبهات حول الأديان، والذات الإلهية. وهذا ما أدى إلى انحراف جمٍ غفير من الغربيين إلى الإلحاد وإنكار وجود الرب، والتخلي عن تعاليم الدين والقيم الخلقية، والانسياق وراء المذاهب المادية والفكرية المنحرفة.

وقد خدم المنهج القرآني البشرية بأن هيأ لها سبل الهداية، وذلك بمخاطبتها الإنسان في مداركه كلها، فقد حاور عقل الإنسان، وناشد فطرته ووجدانه وغرائزه وقلبه وأحاسيسه ومشاعره بالأدلة القرآنية منها: دليل الغاية والعناية والاختراع، والأدلة العقلية والمنطقية والعلمية والحجج البرهانية والجدلية والخطابية، وقد استخدم القياس

([25]) ينظر: كافين رايلي،1406هـ -1986م، **الغرب والعالم**، :2 /106-107.

الأولى والمساوي في أسلوب الإقناع، بحيث برهن للإنسان حقائق الإيمان كلها، وأرشده إلى الصراط المستقيم، والمنهج الرباني القويم، ونسف أوهام الإلحاد والمذاهب المادية كلها [26].

أما الفكرانيات المادية فخدمتها للبشرية هي الترف وإشباع الشهوات:

إن مظاهر الانجذاب في المدنية الغربية، تؤدي إلى الانحلال الخلقي، ونشر الرزيلة والفواحش، وإفساد البشرية بعد انسلاخها من قيمها الدينية والأخلاقية. فالغرب رغم نجاح مدنيته في بناء ناطحات السحاب إلا أنه أوغل البشرية في غياهب الفساد الخلقي، وانحط من شأن الإنسان إلى أدني دركات الانحطاط الاجتماعي، فمنذ بداية عصر النهضة في أوربا طفقت ظاهرة الفساد الأخلاقي بالانتشار أكثر فأكثر، حتى انسلخ الناس عن الفضائل وشرعة بالتحلي بالرذائل وممارسة الشهوات الجسدية والشذوذ الجنسي، وفتح الملاهي ودور الدعارة، ونشر الفاحشة والمثالب، وهذا ما أدى إلى نتائج كارثية جمة على المجتمع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

إن أكثر من 25% بالمائة من الفتيات المرهقات الأمريكيات مصابات بمرض جنسي عن طريق العلاقات غير الشرعية، وأن هذا المعدل أكثر بين السود. وأن خمس حالات من الحمل في أوروبا تنتهي بالإجهاض، وأنه في عام 2006م تم إجهاض 1,600,000جنين من مجموع 6,400,000 حالة حمل [27]. وقد أدت العلاقات الجنسية غير الشرعية إلى انتشار أمراض جنسية معدية كالإيدز، فبحسب إحصائيات الأمم المتحدة التي أجريت في عام 2007م، أن ثمة 33مليون شخص حامل لفايروس الإيدز، وإن من بينهم مليونين ونصف من المصابين الجدد، وأنه قد تم تسجيل أكثر من مليون حالة وفاة بهذا الداء العضال [28].

وقد انحسر النمو السكاني في الغرب، إذ انخفض بمستويات مريبة بعد أن تفككت الأسرة وأضحى الزواج عادة غير مرغوبة. وقد كشفت دراسات لعلماء علم الاجتماع في الغرب أن في عام 1960م كان سكان أوروبا يشكلون ربع سكان العالم، وتدنت نسبتهم في عام 2000م، إذ كانوا يشكلون سدس سكان العالم، وستنحسر نسبته في عام2050م إلى عشر سكان العالم. وقد بينوا أن في عام 2050م سوف ينمو عدد سكان العالم بأكثر من ثلاثة مليارات نسمة ليصل إلى ما يزيد عن تسعة مليارات نسمة، ولكن هذه النمو الذي يبلغ

([26]) ينظر: النورسي سعيد، **المكتوبات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م):242. والنورسي سعيد، **إشارات الأعجاز في مظان الإيجاز**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م):62، 147، 151، 152، 170، 190، 206، 211، 225.

([27]) ينظر: عمر توفيق،1430هـ–2009م، **أرقام تحاكي العالم**، بيروت: دار الفكر(د.ط)، ص:54.

([28]) ينظر: عمر توفيق،1430هـ–2009م، **أرقام تحاكي العالم**، ص:88.

50% بالمائة من سكان العالم سوف يأتي بكامله في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، في حين سوف يزول عن ظهر الأرض مائة مليون نسمة من أصول أوروبية [29].

وقد أكد الخبراء بأن أوروبا إن لم تجد الحل لهذه المعضلة فإنها ستنقرض؛ لأنه قد هبط معدل النمو السكاني بصورة مريبة، إذ أن معدل الخصوبة عند المرأة الأوروبية هو (1.4) علمًا أن الحاجة تدعو إلى (1.2) طفل لمجرد تعويض السكان الموجودين حاليا [30].

المرتكز السادس

جهود علماء المسلمين في وضع اسس تنظيرية للتعايش والسلم الاجتماعي

وبعد أن جلنا بين علماء المسلمين وفلاسفتهم ومفكريهم أخترنا أن يكون سعيد النورسي انموذجاً للعالم الساعي الى تحقيق السلم الاجتماعي والتعايش السلمي، وذلك لأن مفهوم العيش المشترك عنده تولد من معاصرته لحرب العالمية الثانية والصدام العظيم بين الحضارات ولأنه طرح أُسساً نقليةً وعقليةً ومنطقيةً وعلميةً بموضوعية وحيادية للتعايش الحضاري بين الأمم والشعوب نذكر منها:

1--وحدة أصل الإنسان من حيث الخلقة:

يؤكد الدين الإسلامي والأديان السماوية جميعها أن البشرية كلها منحدرة من أصل واحد ومتساوية من حيث الخلقة، ولا تفاضل بينهم من حيث العرق والجنس واللون والقومية بل معيار التفاضل هو الإيمان والعمل الصالح. وقد سعى الإسلام مذ بدئه إلى بناء مجتمع إنساني شامل – غير مختص بجنس أو عرق أو قومية – قائم على تعارف الأمم وتعايشها ،وقد أسس قاعدة المشترك الإنساني من مفهوم وحدة أصل الإنسان الذي تناسل منه الفروع ، والقاسم المشترك بين تلك الفروع هو وحدة النفس والأبوة الجامعة للإنسانية وهذه الحقيقة الكونية تؤكدها القران الكريم في قوله تعالى :{ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[31]، أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم

([29]) ينظر: بوكانن، باتريك جيه، 2005م، **موت الغرب**، ترجمة: محمد محمود التوبة، الرياض: **مكتبة** العبيكان، ص:32-33.

([30]) ينظر: المصدر نفسه، ص:34.

[(14)]. سورة الحجرات:13.

بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا"[32].ويستنبط من هذه الآية أن البشرية تشترك في كونها انحدرت من أصل واحد وأن الغاية من الاختلاف هو التعارف وليس التعارك ، ولا يخفى أن التعارف يؤدي إلى التعايش والتعايش يقود إلى التعاون الذي يخدم الإنسانية جمعاء.

2–احترام مبدأ التعدد وحرية الاعتقاد

تتميز رؤية النورسي لموضوع التعددية الدينية بالإنصاف في تقويميها والتعاون في عملها، وقد اتخذ من قاعدة (العدل والإنصاف) مسلكاً أخلاقياً في التعامل مع المخالف وفهم واستيعاب حقيقة معتقده، وهذا ما يتجلى بوضح في قوله:" أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول:" إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول:" الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها" [33]. فالنورسي في رؤيته لاختلاف الأديان لا ينطلق من قاعدة التعميم التي لا تميز بين هذا وذاك وبين فكرة وأخرى بل يعتمد على قاعدة الإنصاف التي تقتضي ضبط مراتب الاختلاف وتمييزها والإقرار بتعدد مسالك الحق، ولهذا فمن يقرأ رسائل النور يلاحظ مثلا تمييزه بين النصرانية الحقة والنصرانية الزائفة وتمييزه بين أوربا الفاسدة وأوروبا النافعة ... إن هذا التمييز ليس اعتباطياً بل تميز أملاه التزام النورسي بالإنصاف حتى مع المخالف.

ويرى النورسي أن تعدد الأديان لا يستلزم الصدام والصراع بين الحضارات بل أن القواسم الإيمانية والروحية المشتركة بينها تتفتح أبواباً للتعاون والتعايش، وقد دعا النورسي المسلمين إلى الانفتاح على أتباع الديانات الأخرى إذ قال:" إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة الى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون ايضاً الى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى .. دفعاً لعدوهم المشترك المتعدي لأن الكفر المطلق يشن هجوماً عنيفاً"[34] .

---

[32] النورسي سعيد: **المكتوبات** : 400.

[33] سعيد النورسي: **اللمعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)، 209.

[17] النورسي سعيد، **الملاحق**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م): 283.

3-النقد البناء لإصلاح السلبيات في المدنية الحاضرة:

إن قاعدة الإنصاف لدى النورسي لم تقتصر على الاعتراف بإيجابيات الطرف المخالف بل تعدى الى نقد البناء لسلبياته بغية تصحيحها ، لذا بعد أن رحب بالجوانب العلمية في الحضارة المعاصرة ،انتقد المثالب الموجود فيها وذكر ذلك في جوابه لمن سأله عن سبب رفضه للمدنية الحاضرة إذ قال:" لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية:فنقطة استنادها هي: القوة، وهذه شأنها: الاعتداء.وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها: التزاحم.ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه: التنازع.والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين. وهذه شأنها: التصادم، كما نراه.وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها. وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية .. وبهذا تكون سبباً لمسخ الإنسان معنوياً".[35] .ولا يخفى أن تلك المثالب الخمسة التي ارتكزت عليها المدنية الحديثة تعد أهم الأسباب التي أسهمت في الصراع على الثروات و توسيع الفجوة بين الشعوب وتقسيم البشرية الى طبقات راقية غنية ومتدنية جائعة بحيث لا يمكن التعايش معاً.

وبعد أن ذكر النورسي سلبيات الحضارة الحديثة وضع حلولاً إيجابيةً لإصلاحها، لأن بصلاحها تتعايش الشعوب في رخاء وأمان، إذ جعل نقطة استناد الحضارة: الحق بدلاً من القوة، لأن الحق من شأنه: العدالة والتوازن، وجعل هدفها الفضيلة بدلاً من المنفعة، لأنها تؤدي الى: المحبة والتجاذب.وجعل رابطتها: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، وجعل دستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، لأن من شأن التعاون التساند والاتحاد، ووضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات، فهي إذ تحدد الهوى وتحدّ من النزعات النفسانية تُطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي. [36]

---

[18]. النورسي سعيد، **صقيل الإسلام**: 336.

[19]. ينظر: النورسي سعيد، **الكلمات**: 841.

ويظهر مما سبق أن النورسي كان منصفاً في نقده لسلبيات المدنية الحديثة إذ لم يكتفي بنقدها فحسب بل وضع لها حلولاً منطقية وواقعية لبناء مجتمع انساني متكامل مبني على تعايش الشعوب مع بعضها والتعاون فيما بينها.

4–وحدة المصلحة الإنسانية والتعاون في تحقيقها:

أدرك الحكيم النورسي أن العيش المشترك يقتضي التعاون بين البشر وتبادل المنافع المادية والمعنوية بين الشعوب ،وأن ذلك لا يمكن إلا بتنمية مستوى الوعي الفردي ليدرك أن التعاون فضيلة أخلاقية وضرورة إنسانية و أن الأنانية واحتكار الموارد في أيد فئة من الناس من الكوارث الأخلاقية التي تعصف بالمجتمع فتهدم القيم والمبادئ وتنزع منه الصفة الإنسانية وتنزله من درجات كمال الى دركات الانحطاط، لكونها تؤدي الى ظهور الفوارق الطبقية المبنية على الأنانية والاستعلاء وهذا ما يؤول الى التنافر والتنابز بين الشعوب وما هذا ما يتجلى بوضوح في قوله:" لو أمعنت النظر في صحيفة العالم و تأملت في مساوئ جمعية البشر ، لرأيت أساس جميع اختلالاتها وفسادها ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط: إحداهما (إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع)، والثانية(اكتسب أنت لآكل أنا ،واتعب أنت لأستريح أنا ، فالكلمة الأولى هي التي زلزلت العالم الإنساني فأشرف على الخراب " [37].

وهكذا عد النورسي: الأنانية والاستغلال مرض العصر الحديث وكانت نظرته الرافضة للاستغلال الحضاري نابعة من إيمانه بمبدأ تكريم الإلهي للبشر جميعاً من دون تمييز بين جنس وآخر، وقد استوحى فكرته من الآية القرآنية {وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ}[38] .

5–العلم بوصفه موحد لثقافة الحضارات:

اتخذ الامام النورسي العلم مدخلاً ضروريا في الإصلاح والتجديد والتوافق والتلاؤم بوصفه قاسماً مشتركاً بين الأديان والحضارات جميعها وجعله اساساً للتعايش السلمي الحضاري من خلال استحكامه للعلم عند الاختلاف بين الأديان والمذاهب ، وكان ذلك إدراكا منه بأهمية البعد الاجتماعي للعلم و قدرته على التوافق

---

[20]. النورسي سعيد: **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**:51–52.

[21]. ينظر: سورة الإسراء:70

بين الخصوم لما له من وظيفة اجتماعية واستخلافية يوجّه الإنسان إلى التأمّل والنظر الكوني المتفاعل مع الحياة ، وهذا ما دفعه الى القول بأن البشرية ستنساق وراء العلم إذ قال: "إنّ البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم وتنصب إلى الفنون وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة." (39) .

وقد جعل النورسي العلم النافع المقترن بالإيمان بديلاً عن القوة إيماناً منه بأن العلم يتغلب على القوة التي هي أساس الصدام بين الحضارات، إذ قال:"كذلك نرى بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمنته بصورة عامة–وفي المستقبل هيمنةً تامة إن شاء الله –سيكون المهيمن هو الحق بدلاً من القوة "(40)

وحري بالذكر ان النورس قصد بالعلم العلم النافع المقترن بالإيمان لأن به يصل الإنسان الى معرفة الخالق ويتحقق السعادة البشرية، أما العلم المادي فقد يستغل لتدمير البشرية عن طريق صناعة الأسلحة واستخدامها في الحروب.

---

(22). النورسي سعيد: **الكلمات**:293

(23). ينظر: النورسي سعيد: **صقيل الاسلام**: 46

الخاتمة

بعد هذا الجهد المتواضع يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل البحث اليه فيما يأتي:

- إن الرسالات السماوية بحكم انتمائها إلى الخالق، فإنها أُرسلت لتحقيق المصلحة البشرية، ولا تأمر إلاّ بالخير، ولا توصي إلا بالأمن السلام، وإنما يقع التطرف الديني من الذين يتوهمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويحرفون النصوص المقدسة ويؤولونها لتوافق أهوائهم.
- إن المنهج القرآني يسمو ويهيمن على مناهج الفكرانيات المادية من وجوه كثيرة، منها أن مصدر القرآن هو الوحي الإلهي، أما الفكرانيات المادية فمنبعها النظرية الداروينية القائمة على مبدأ (الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأقوى)، وقد انتجت مجتمعات مبنية على العنصرية والأنانية والاستعلاء الحضاري الرافضة للتعايش مع الآخرين، وتسببت في نشوب حروب مدمرة.
- أسس المنهج القرآني قائمة على الحق والفضيلة والتعاون والقيم الدينية واتباع الهدي، في حين وأن أسس الفكرانيات المادية مبينة على القوة والمنفعة والصراع والعنصرية والأهواء، فأنتجت مجتمعات مبنية على العنصرية والأنانية والاستعلاء الحضاري رافضةً التعايش مع الآخرين، ومتسببةً في الانحطاط الخلقي، والانهيار الأسري والاجتماعي، ونشوب حروب مدمرة.
- أن رؤية الإسلامية للتعايش السلمي بين الحضارات رؤية متكاملة بنيت على أُسس ماديةٍ ومعنوية إذ اعتمد على وحدة أصل الأنسان ووحدة مصلحته في المشترك إنساني، واعتمد على العلم في المنهج، وعلى احترام مبدأ التعدد في الحوار، وضرورة التعاون في العمل المشترك.

–إن التقدم المادي لا يكون إرهاصاً لمستقبل أكثر اطمئناناً إلاّ باقترانه بالإيمان والأخلاق والقيم الكونية.

قائمة المصادر

1- د. أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**:1583/2، (بيروت: عالم الكتب، 2008م)

2- أدولف هتلر، **كفاحي**، ترجمة: لويس الحاج، الطبعة الثانية، سنة1995.

3- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، مؤسسة ترجمان الطبعة الرابعة.

4- تشارلس داروين، أصل الأنواع، ترجمة مجدي محمود المليجي، مجلس الأعلى للثقافة 2004.

5- سعيد النورسي: **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)

6- سعيد النورسي: **صقيل الإسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)

7- سعيد النورسي: **الكلمات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م).

8- سعيد النورسي: **اللمعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)

9- سعيد النورسي: **المكتوبات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)

10- سعيد النورسي، **الملاحق**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهر: دار سوزلر، ط6، 2011م)

11- د. شوقي عطا الله، **تاريخ اوربا من النهضة حتى الحرب الباردة**، المكتبة المصرية–القاهرة.

12- كارل ماركس، **رأس المال**، ترجمة: د. فهد كم نقش، دار التقدم –موسكو -1985.

13- ميكافللي، كتاب الأمير، ترجمة: **أكرم مؤمن**، مكتبة ابن سينا – القاهرة.

14- هارون يحيى، **خديعة التطور**، ترجمة: سليمان بايبارا

❖ أركان الإيمان



➢ بقلم فضيلة الشيخ أحمد على تركى
➢ مدرس القرآن الكريم بالأزهر الشريف

يقول الدكتور ربيع ابراهيم أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين نقلاً عنه:

كل المسلمين يعرفون جيدا أركان الإسلام الخمسة، لكن الكثير منهم لا يعرفون أركان الإيمان!

وأركان الإيمان ستة: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر.

وقد نص القرآن عليها في مواضع متفرقة، وجاءت مجتمعة في حديث جبريل عليه السلام.

ونحن نحاول تبسيط هذه الأركان حتى يعلمها عامة المسلمين، في ظل التجهيل بالإسلام عقيدة وشريعة وهوية.

[1]الركن الأول:

الإيمان بالله:

الإيمان بالله تعالى هو أصل الأصول الاعتقادية، وعليه مدار الإسلام، وهو لب القرآن.

والأمم السابقة قاطبة تؤمن بوجوده تعالى، لكن تصوراتهم عنه تعالى، وعما يجب في حقه، وما يجوز، وما يستحيل في حقه تعالى، تصورات مختلفة، وقبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تصورات البشرية جمعاء عن الله تعالى تصورات مشوهة مشوشة، حتى عند بني إسرائيل آخر الأمم عهدا برسالات السماء.

وتصحيح هذا التصور عن الله تعالى هو أول ركيزة ترتكز عليها العقيدة الإسلامية، لأنها يترتب عليها ما بعدها، من باقي أركان الإيمان، ثم ما يترتب على ذلك من التزام شريعة الله تعالى والعمل بها، والاحتكام إليها في سائر مناحي الحياة .

والإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء:

الإيمان بوجوده، والإيمان بوحدانيته في ربوبيته، والإيمان بوحدانيته في ألوهيته، والإيمان بوحدانيته في أسمائه وصفاته .

الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى .

فمن أنكر وجود الله تعالى فليس بمؤمن، ومع ذلك لا يمكن أن يوجد أحد ينكر وجود الله تعالى بقرارة نفسه، حتى فرعون الذي قال لموسى:

" ما رب العالمين؟

كان مقرّاً بالله ، قال له مؤسى :

لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ.

] الاسراء:102[

لكنه جاحد ، كما قال الله تعالى :

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً

]النمل:14[

والفطرة السليمة توجب على صاحبها الإيمان بوجود الله تعالى ، كما قال تعالى :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

]الروم:30[

وأخرج الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ.

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

}فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ{

] الروم: 30[

فهذه الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها قد يُفسدها الأبوان، أو البيئةُ عموماً، وقد تُفسدها شياطينُ الجنِ.

وحديث أبي هريرة الذي ذكرناه آنفا يبين دور الوالدين في إفساد الفطرة إذا كانا غيرَ مُوَحِّدَين.

وأما عن دور شياطين الجن، فقد أخرج مسلم:

عنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ :

َ لَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا.

والشعور بوجود الله تعالى موجود داخل كل إنسان، ولكن توقظه وتخرجه الشدائد والمحن التي قد يتعرض لها، كما قال تعالى:

" وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

]يونس:12[

وكما قال تعالى :

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ

]النحل:53، 54[

والمتتبع لتاريخ الرسالات والأمم يعلم أنه لا توجد أمة من الأمم أنكرت وجود الله تعالى، ولا أنكرت أنه الخالق الرازق المحيي المميت، لكن محل النزاع كان إفراد الله تعالى بالعبودية.

ولقد دعا القرآنُ الناسَ للتأملِ في خلقِ السماوات والأرض، ومن ذلك قوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

]البقرة:164[

وقوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

]آل عمران:190 ،191[

وقوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

]الرعد:2-4.[

كل مخلوق لا بد له من خالق:

وقد يحاول الإنسان التهرب من التكاليف الشرعية، والتحلل من ربقة القيود على الشهوات فينكر وجود الله تعالى:

"بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ

]القيامة: 5[

فهؤلاء يوجه لهم القرآن أسئلة منطقية ، فيقول تعالى :

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ

] الطور:35-36[

فمن الذي خلقهم؟ ومن الذي خلق السماوات والأرض؟
ومعلوم بدهياً أن أي موجود لا بد له من موجد، وأي مخلوق لا بد له من خالق.

وعندما سمع هذه الآية جبير من مطعم كان له وقع شديد عليه، حتى إنه يقول: كاد قلبي أن يطير!

أخرج البخاري:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ :

}أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ.

قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

إِنَّمَا كَانَ انْزِعَاجُهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ لِحُسْنِ تَلَقِّيهِ مَعْنَى الْآيَةِ وَمَعرِفَتِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلِيغِ الْحُجَّةِ، فَاسْتَدْرَكَهَا وَاسْتَشَفَّ مَعْنَاهَا بِذَكِيِّ فَهْمِهِ.

حتى الذين ادَّعَوُا الْأُلُوهِيَّةَ لم يَدَّعِ أحدُهم أنه خلق نفسه، ولا خلق السماوات، ولا خلق أي شيء.

وعندما سُئِلَ الأعرابيُّ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟

فَقَالَ الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَآثَرُ الْأَقْدَامِ يَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ ، أَلَا تَدُلُّ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ.

الواجب الثاني من الواجبات الأربعة: الإيمان بانفراده تعالى بالرّبوبية .

أي الإيمان بأنه وحده الرّبُّ، وأنه منفرد بالربوبية، والرب هو الخالق المالك المدبر.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَهُوَ الْغَايَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، بَلِ الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهَا مَفْطُورَةً عَلَى الْإِقْرَارِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، كَمَا قَالَتِ الرُّسُلُ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ :

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

] إبراهيم:10 [

ولقد كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الربوبية، فيقرون بأن الله تعالى هو الخالق، وقد قرر القرآن ذلك في أكثر من موضع منها:

قوله تعالى :

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ

] المؤمنون: 86-89[

وقوله تعالى :

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ

]العنكبوت:61[

وقوله تعالى :

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

] لقمان:25[

وقوله تعالى :

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

]الزمر:38[

وقوله تعالى :

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

]الزخرف:9[

وقوله تعالى :

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ

]الزخرف:87[

وفي مسألة الرزق:

قال تعالى :

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

] يونس: 31[

وقال تعالى :

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

] هود:6[

وقال تعالى :

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

]الذاريات:22[

وقال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

]الذاريات:58[

الواجب الثالث: الإيمان بانفراده بالألوهية:

وذلك بالإيمان بأنه وحده الذي لا إله إلا هو لاشريك له، فمن ادعى أن مع الله إلهاً يُعبد فإنه لم يؤمن بالله، ويترتب على ذلك إفراده تعالى بكل صور العبودية.

ولقد بين القرآن لنا الغاية من خلقه للجن والإنس.

فقال تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

]الذاريات:56-58[

بمعنى أن تكون حياة العبد كلها لله تعالى، وفق أوامره ونواهيه، خالصة له وحده، وهذا مدلول كلمة التوحيد "لا إله إلا الله."

قال تعال :

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

] الأنعام: 162-163[

والأمم السابقة لم تنازع في توحيد الربوبية، إنما كان نزاعهم في إفراد الله تعالى بالعبودية، بكل صورها، فبينما كانوا يقرون بوحدانية الله تعالى في ربوبيته إذا بهم يجعلون معه آلهة يعبدون!

قال تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ

] الزمر:2-3[

وما من نبي من الأنبياء إلا وأمر قومه بإفراد الله تعالى بكل صور العبودية.

قال تعالى :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

]الأعراف: 59[

وقال تعالى :

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ

]الأعراف: 65[

وقال تعالى :

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

]الأعراف:73[

وقال تعالى :

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

] الأعراف:85[

وقال تعالى :

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ

] النحل: 36[

والطاغوت كل ما يعبد مع الله، أو من دون الله.

وقال تعالى :

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ، فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ

] المؤمنون: 31-32[

والإيمان بوحدانية الله تعالى في ألوهيته أمر بدهي، وخصوصا لمن أقر بوحدانيته في ربوبيته، فآمن أنه الخالق وحده، وأنه الرازق وحده، وأنه المحيي وحده، وأنه المميت وحده، وأنه المدبر لأمور الكون وحده.

فلا يعقل أن يَتفرَّدَ بكل ذلك ثم يُشرَكُ معه في العبادة مَن لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يحيي ولا يميتُ، ولا يدبر شيئا، بل ليس له من الأمر شيء!

قال تعالى :

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

]النحل:20[

وقال تعالى :

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ، وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

] الأعراف: 191-194[

الواجب الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته.

وذلك بالإيمان بإثبات ما أثبته سبحانه وتعالى لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في صحيح السنة، من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فمن حرّف آيات الصفات أو أحاديث الصفات فإنه لم يحقق الإيمان بالله.

وأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية وليست توفيقية، بمعنى أنها لا تثبت إلا بالقرآن، وما صح وثبت من السنة، فليس للاجتهاد فيها مجال، ومن ثَمَّ فلا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى أو نصفه بأسماء أو صفات باجتهاد منا ظنا منا أنها من صفات الكمال! فالوقوف عند النص هو الأسلم.

قال تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

]الأعراف:180[

وَأَصِلُ الْإِلْحَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعَدْلُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْمَيْلُ وَالْجَوْرُ وَالِانْحِرَافُ، وَمِنْهُ اللَّحْدُ فِي الْقَبْرِ، لِانْحِرَافِهِ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ عَنْ سَمْتِ الْحَفْرِ "

أخرج الشيخان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ.

ومن المعلوم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة والتسعين.

أخرج ابن حبان في صحيحه:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ:

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ , يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟، قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ .

اسم الله الأعظم:

وردت عدة أحاديث بذكر اسم الله الأعظم، لكن دون تعيينه، والظاهر أنه ليس اسما واحدا، بل مركب من عدة أسماء. ومن هذه الأحاديث:

(1)ما أخرجه الترمذي وابن ماجه، عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ :

سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى .

(2)ما أخرجه الترمذي عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ :

اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهَ ؟

دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.

(3)ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ

}وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ{

] البقرة: 163[

وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ :

}الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ {

[آل عمران: 2]



❖ المحاولات المتكررة لهدم الهرم الأكبر

❖ بقلم: أ/أحمد الجمال.
❖ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر
❖ كاتب بعدة جرائد مصرية وعربية
❖ مقدم التاريخ بالإذاعة المصرية
❖ عضو الإتحاد العالمي للمثقفين العرب

"تاريخ كل أمة خط متصل قد يصعد أو يهبط قد يدور حول نفسه أو ينحني، لكنه أبداً لا ينقطع"

يقف هرم خوفو شاهد صدق على حضارة المصريين القدماء وعظمتهم وتقدمهم العلمي والعمراني، كما يظل بالنسبة للأعداء شيئاً يثير الحنق، لذا فإنه عبر التاريخ كانت هناك محاولات كثيرة لهدم هذا الصرح العظيم فهيا بنا عزيزي القارئ

النهم للمعرفة والقراءة والمطالعة نُقلب صفحات التاريخ لنقف على حقيقة ما حدث.

ترجع البداية كما تُطلعنا مصادر التاريخ إلى عصر الفراعنة أنفسهم، وذلك عندما زار هيرودوت كهنة مدينة (أون) فأخبروه بأن سر العالم والحياة موجود داخل الهرم الأكبر، ولو عرف بعض أسراره لغير الكثير من حياة العالم. لكن هيرودوت توفي سنة ٤٢٦ق.م.

بعد مرور عدة قرون وتحديداً في عصر المأمون أراد البحث عن الكنوز المزعومة داخل الهرم، فنظم حملة تضم مهندسين وبنائين ومعماريين ونحاتي الأحجار، وعندما فشلت الحملة في العثور على مدخل الهرم قرر المهندسون أن يحفروا في الصخور التي تشكل جسم الهرم، ولكنهم فشلوا، لأن المطارق والأزاميل لم تحدث سوى مجرد خدش في الأحجار وذلك حين صاح أحد العلماء "لقد سمعت صوت سقوط حجراً كبيراً في

ذلك الاتجاه". وكان المكان القادم منه الصوت قريب من مكان الحفر وكل ماكان يشغلهم هو العثور على الكنز المزعوم داخل الهرم، لكن هذا لم يحدث أبداً.

وفي أثناء الحملة الفرنسية على مصر، حاول جنود الحملة هدم الهرم وأبو الهول، وحاولوا بمدافعهم وظلوا أياماً يطلقونها ولكنهم لم يفلحوا، وسرعان ما أنتهت الحملة الفرنسية على مصر.

وعندما قرر محمد علي باشا والي مصر بناء القناطر الخيرية أراد أن يهدم الهرم الأكبر ليأخذ أحجاره كي يبنيها، ويقال أنه طلب من المهندسين أن يقوموا بذلك فجاءه المهندسون الفرنسيون ولإنجليز والأتراك ودرسوا الموقف ورفضوا الفكرة، ثم ذهبوا إليه قائلين له لايمكن هدم الهرم لبناء

القناطر بأحجاره، فقطع الأحجار من محاجرها بالجبال أسهل بكثير من إنتزاعها من جسم الهرم، وأنه يحتاج لإنتزاعها منه إلى جهد ضخم وكبير لا يقدر عليه أحد.

وكان محمد علي يرى أن بناء القناطر الخيرية أهم من وجود الأهرامات.

وكان محمد علي قد شرع في بناء القناطر الخيرية سنة ١٨٤٧م وأصدر أوامره للمهندس الفرنسي لينان بهدم الهرم الأكبر وإستخدام أحجاره الضخمة لبناء القناطر الخيرية ولقد حاول المهندس الفرنسي إثناء محمد علي عن قراره على أساس أن كميات أحجار الهرم الأكبر ستزيد أربعة أضعاف المطلوب لبناء القناطر الجديدة، وأن أحجار الهرم الأصغر منكاورع لا تكفي للتشييد، وطلب المهندس لينان المساعدة من قنصل فرنسا العام في مصر، الذي انحاز بشدة لجهود حماية الهرم على أساس أنه تراث حضاري.

لكن مادفع محمد علي إلى التخلي عن إصراره لم يكن إلا إيجاد فكرة بديل آخر وهي توفير ٢٠ملياً لتغطية نفقات نقل الأحجار.

ودائماً وأبداً التاريخ لاينتهي.... سنحيا بالأمل في الله.... سنحيا بالعلم ... سنحيا بالكفاح... سنحيابالتسامح.... سنحيا بالإبتسامة الجميلة.